

ابنة الزهراء المظلومة و آها المظلومين صلوات الله عليهم أجمعين عقبوا المجلس طيباً بذكر محمد و آل محمد , لوجه إمامنا أبي جعفر الباقر الأنور صلوات الله و سلامه عليه و لمودته و لمحبتة نوروا المجلس ثانيةً بالصلاة على محمد و آل محمد , لإمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه و لتعجيل فرجه الشريف و لذكره الأقدس أحيوا المجلس الشريف بصوت رفيع بالصلاة على محمد و آل محمد .

يا زهراء

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد و آل محمد و آخر تابع له على ذلك اللهم العن العصاة التي جاهدت الحسين و شايعة و بايعة و تابعت على قتله اللهم العنهم جميعاً , الحمد لله الذي أخرجنا من حدود البهيمية إلى حد الإنسانية بولاية علي و آل علي و الصلاة على سيدنا و نبينا أول العدد و من به و منه المدد الفاتح الذي فتح الله به فيض وجوده و الخاتم الذي خُتمت به مجالي الكمال والجلال خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد و آله الطيبين الطاهرين , واللعنة الدائمة على أعدائهم وشائنيهم و مبغضهم والمشككين في مقاماتهم العلية والمحمودة ومنكري فضائلهم وعلى أعداء شيعتهم إلى قيام يوم الدين .

في هذه الليلة و التي قُرنَت و شُرِفَت بذكر باقر العلوم صلوات الله و سلامه عليه و التي خيِّمت فيها الأحزانُ على أبيات آل النبي صلوات الله عليه و عليهم أجمعين و التي هي من أيام و ليالي الحج أتناول الآية الشريفة من سورة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى (رَبَّنَا

إِنِّي أَسَكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) الآية الشريفة كما قلت قبل قليل من سورة إبراهيم و هي الآية السابعة و الثلاثون بحسب الترتيم المعروف في المصاحف المتداولة في هذه الليلة لا أريد الحديث عن كل تفاصيل الآية و إنما أقتطف منها هذا المقطع (فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) لأن الوقت لا يكفي للحديث في كل جزئيات الآية بكاملها لكن قبل أن أشرع في المقصود أشير إشارة موجزة إلى المعنى الإجمالي للآية الشريفة و إلى السياق الذي وردت فيه هذه الآية لأجل الفائدة الآية الشريفة التي تلوتها على مسامعك قبل قليل جاءت في سياق آيات في سورة إبراهيم تتحدث عن مسألة مجيء إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر إلى بلاد الحجاز و بالذات إلى أرض مكة و بالذات إلى هذه المواضع المقدسة عندنا و التي تدور فيها المناسك الشريفة لعبادة الحج فالآيات في وجهها الظاهر الأول و في دلائل عباراتها تتحدث عن هذه الواقعة و عن جزئياتها و يمكنك أن تراجع الآيات الشريفة في الكتاب الكريم قلت في أول حديثي أشير إشارة إجمالية إلى المعنى الإجمالي للآية و إلى السياق الذي وردت فيه هذه الآية المباركة فالآيات تتحدث عن إبراهيم و عن مجيء هاجر و عن ولده إسماعيل و الحوادث التي صاحبت هؤلاء في تلكم الأيام و في أيام مجيء هاجر إلى بلاد الحجاز و الآية الشريفة التي ذكرتها في أول المجلس كأنها بمثابة دعاء يدعو به إبراهيم عليه السلام (رَبَّنَا إِنِّي أَسَكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي) و الذرية الأولاد (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) غير ذي زرع أي أنه لا يصلح للزراعة (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) باعتبار أن إبراهيم جاء بزوجه في هذه الأرض الخالية ثم بحسب الأمر الإلهي أن يأتي بعائلته إلى هذا

الموضع ثم يتركها بعد ذلك و يرجع إلى موطنه الأصلي و فعلاً إبراهيم جاء بعائلته جاء بهاجر ما أن وصل إلى هذا المكان القاحل الخالي من الناس تركها و ذهب فإبراهيم عليه السلام بحسب ظاهر الآية و بحسب السياق الذي وردت فيه هذه الآية إنما يدعو لزوجته و لولده و من ذريتي هذا المعنى هو الذي يفهمه القارئ فيما لو رجع إلى آيات الكتاب لوحده على أساس الفهم اللغوي و هذا المعنى أيضاً هو الذي ذكره مفسرو العامة في كتبهم و وقفوا عند هذا الحد و لربما جملة من مفسرينا أيضاً حينما فسروا هذه الآية أو هذه الآيات أيضاً وقفوا عند هذا الحد لكننا في هذه الليلة و المجلس معقودٌ بذكر إمامنا أبي جعفر صلوات الله و سلامه عليه نقتطف هذا المقطع منها (فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) لنرى ما يقول إمامنا أبو جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه في هذه الآية الشريفة الآن عرفت موضع الآية من الكتاب و من السورة التي جاءت فيها هذه الآية و بشكلٍ إجمالي عرفت المضمون الإجمالي للآية و السياق الذي وردت فيه هذه الآية و ما قاله مفسرو العامة و كذلك كما قلت في كتب تفسير علمائنا أيضاً ورد هذا المعنى الذي ذكرناه بشكلٍ إجمالي و كأن الآية في معناها تتحدث عن دعاء إبراهيم لزوجته و لولده في روايات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين و روايات أهل البيت في تفسير الكتاب الكريم منها ما جاء على نحو التصريح منها ما جاء على نحو الإشارة و الرمز و هذا المعنى مراراً ذكرته على المنبر في رواياتهم أن القرآن نزل على أربعة أشياء على العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق أما العبارة فللعوام و أما الإشارة فللخواص و أما اللطائف فللأولياء و أم الحقائق فللأنبياء الرواية عن صادق العترة و نُقلت أيضاً عن سيد الشهداء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و كذلك جاء في رواياتنا الشريفة و هذا المعنى أيضاً ذكرناه مراراً أن أبعد شيء عن عقول الرجال القرآن يعني تفسير القرآن فلربما يكون أول

الآية في شيء و يكون آخرها في شيء آخر هذه القواعد الإجمالية فيما سلف تحدثنا عنها الآن لا نريد الدخول في مثل هذه التفصيلات و إنما أشير إلى بعض الروايات التي وردت عن باقر العترة المطهرة صلوات الله عليهم بخصوص هذا المقطع من هذه الآية الشريفة (فَجَعَلَ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) وردت رواية عن إمامنا أبي جعفر الباقر في الكافي الشريف يرويها الفضيل ابن يسار عن إمامنا الباقر في أيام الطواف في مثل هذه الأيام في الحج و أنا قلت في أول حديثي هذه الأيام أيضاً أيام الحج و الحديث عن هذا المعنى يتناسب مع هذه الليلة و مع هذه الأيام الإمام عليه السلام إمامنا الباقر صلوات الله عليه ينظر إلى الناس و هم يطوفون في الكعبة يعني يطوفون حول الكعبة فيقول إمامنا أبو جعفر صلوات الله و سلامه عليه هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية يعني هذا الطواف الذي يطوفونه الآن في الكعبة في الجاهلية أيضاً هكذا كانوا يفعلون هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية هكذا كانوا يفعلون في الجاهلية في المظهر الخارجي لا فرق لكن هناك حقيقة في الحج هناك حقيقة في الطواف الإمام يقول هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية هكذا كانوا يفعلون في الجاهلية و إنما أمروا أن يطوفوا بها يعني أن يطوفوا بالكعبة ثم ينفروا إلينا ينفروا إلينا بجميعهم ثم يقبلون علينا و النفير يعني يقبلون علينا بجمعة و عزم و استعداد لتلقي الأوامر للقتال أو لغير القتال النفير هو هذا معناه أنفروا خفافاً و ثقلاً نفرة خفافاً و ثقلاً للجهاد في ركاب النبي في ركاب الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه و إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودتهم يُعلمونا يخبرونا إعلام فيعلمونا ولايتهم و مودتهم و الإعلام فائدته ما هو فائدته أولاً تجديد العهد نفس الإنسان يجدد العهد مع الإمام و ثانياً يقوي قلوب الآخرين لما يأتي هذا الإنسان يجدد العهد للإمام و للإمام فيراه آخر و يراه آخر و كلما تكاثر العدد من أهل الإيمان كلما كان سبباً لشدة القلوب على أي

حال ليس البحث الآن في هذه القضية في منافع تحديد العهد بالإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه ربما في وقتٍ آخر إذا ما تعرضنا لهذه المسألة بوجهٍ خاص نبسط الكلام فيها إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودتهم و يعرضون علينا نصرتهم يعرضون علينا النصره يقولون يا أبناء رسول الله سيدي أيها الإمام المعصوم أنا بين يديك مالي و نفسي و ما حوّلي ربي كل شيءٍ عندي أملكه يتعلق بي يمكن أن تصل يدي إليه هو بين يديك فأمر ما شئت أن تأمر حياتي مماتي و إيابي و ذهابي كله بيدك يا ابن رسول الله ثم يعرضون علينا النصره بعد ذلك يقول الفضيل الإمام تلا هذه الآية (فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) كما قلت الرواية في الكافي الشريف لشيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه هذه الرواية هنا ربما يقول البعض أنها ليس في تفسير هذه الآية و إنما الإمام ذكر الآية على سبيل الشاهد و هذا كلام من لا خبرة له بكلام أهل البيت و بأصول كلام أهل البيت الآن الرواية في مقام إشارة الآن تأتينا رواية ثانية الإشارة فيها أوضح قبل قليل قلنا العبارة للعوام الإشارة للخواص و لا ندعي هنا أننا من الخواص لكن هذه العلامت موجودة في روايات أهل البيت هذه الإشارات موجودة في روايات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين هذه الرواية الأولى .

رواية ثانية يذكرها العياشي رضوان الله تعالى عليه في تفسيره أيضاً نفس هذا المعنى يذكره الإمام ينظر إلى الناس يطوفون بالكعبة فيقول في الجاهلية كانوا يطوفون هكذا يفعلون هكذا ما أمروا إلا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا مودتهم ولايتهم يعرضون علينا النصره بعد ذلك الإمام يتلو هذه الآية فيقول (فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) يقول الإمام آل محمد آل محمد يعني الذين تهوي إليهم الأفئدة الإشارة هنا أصرح بل العبارة هنا صريحة الإشارة هنا أصرح يقول الإمام آل محمد آل محمد اقرأ بقراءتين إما آل

محمد آل محمد على تقدير الفعل المحذوف يعني آل محمد آل محمد فتكون آل في محل مفعول به وإما تقرأ آل محمد آل محمد على تقدير أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم بالنتيجة لا فرق قرأناها آل أم آل بمعنى واحد فالإمام يقرأ الآية فاجعلوا أفئدة (فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) يقول آل محمد آل محمد يعني هؤلاء الذين تهوي إليهم الأفئدة هم آل الرسول ثم يقول الإمام الباقر إلينا إلينا معنى بشكل أخص ربما آل محمد قد يفهمها العوام وإن كان فهم أهل البيت لهذا المصطلح مخصوص بالمعصومين في معناه الحقيقي يطلق مجازاً حتى على الشيعة لكن في العنوان الأصلي للمعصومين لكن قد يفهم العوام من آل محمد بشكل عام ثم يقول الإمام إلينا إلينا يعني إليّ إليّ أن النفرة إليّ إليّ و أن هذه القلوب هذه الأفئدة المذكورة في الآية التي تهوي إليهم إنما تهوي إلينا إلى الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه إلى الإمام الحجة في زماننا عليه أفضل الصلاة والسلام هذه الرواية الثانية أصرح , رواية ثالثة في الكافي الشريف أصرح من الروایتين المتقدمتين في معنى هذه الآية الرواية يرويها زيد الشحات عن إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه أن قتادة ابن دعامة دخل على الإمام أبي جعفر الباقر قتادة ابن دعامة من كبار فقهاء السنة من كبار فقهاء العامة من مفسريهم من محدثيهم من رواهم قتادة معروف في كتب الحديث حتى في كتب علمائنا ينقلون عنه فقتادة ابن دعامة دخل على الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه الإمام يسأله يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة لأنه كان معروف بفقهاء أهل البصرة يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة قال نعم يزعمون كذلك أنت فقيه أهل البصرة قال يزعمون ذلك قال بلغني أنك تفسر القرآن قال قتادة نعم فقال الإمام عليه السلام بعلم أم بجهل فقال قتادة لا بعلم إنما أفسر القرآن بعلم فقال له الإمام أبو جعفر صلوات الله عليه إن كنت كذلك أي تفسر القرآن بعلم فأنت أنت يعني فأنت

أنت العالم المفسر المصيب للحقائق إن كنت كذلك فأنت أنت وإني أسألك فقال قتادة سل فقال إمامنا أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه الرواية في الكافي الشريف فقال إمامنا أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه اخبرني اخبرني يعني يراد ما معنى هذه الآية ما دلالة هذه الآية أخبرني عن قوله عز وجل في سورة سبأ (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ) هذا المنتصف الأخير من الآية (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) والتي فسرت في روايات أهل البيت القرى التي باركنا فيها الأئمة المعصومين والقرى الظاهرة العلماء الذين ينوبون عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فسرت في روايات أهل البيت حتى في بعض التواقيع الصادرة عن الناحية المقدسة على أي حال فالإمام يسأل عن هذا المقطع من الآية و مقصوده تمام الآية (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) أخبرني عن قوله عز وجل في سورة سبأ (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ) بدأ قتادة يفسر قال إنما عنى بذلك من خرج من بيته بزادٍ حلال و راحلةً حلال و كِراً حلال كرا يعني الأجرة الكراية بزادٍ حلال و راحلةً حلال و الراحلة واضح الناقة التي يركبها الحاج من خرج من بيته بزادٍ حلال و راحلةً حلال و كِراً حلال يريد هذا البيت يعني يريد مكة يريد المسجد الحرام للحج يريد هذا البيت كان أمناً حتى يرجع إلى أهله (سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ) في طريقكم إلى الحج و من خرج من بيته بزادٍ حلال و راحلةً حلال و كِراً حلال فكان على الله أن يؤمنه هذا الذي نقله قتادة فقال له إمامنا صلوات الله عليه إمامنا الباقر قال له يا قتادة نشدتك الله أفلا تعلم أن الرجل قد يخرج من بيته بزادٍ حلال و كِراً حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ليس فقط تذهب نفقته ثم يقول الإمام وقد يُضرب ضربة يكون اجتياحه فيها اجتياحه يعني نهايته وقد يُضرب ضربه في الطريق يكون اجتياحه فيها فأين هو الأمان؟ قال اللهم نعم إني

أعلم هكذا لأنه يقطع الطريق على الحجاج على المعتمرين على الزوار ويفعل فيهم ما يفعل فكيف إذا تفسر الآية بهذا النحو وبهذا المعنى؟ حينئذ الإمام يقول له ويحك يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك هلكت وأهلك نفسك يعني، وأهلك نفسك معنى أبلغ من هلكت هلكت نفسك يعني أوقعت نفسك في المهلكة العظيمة هلكت وأهلكك ويحك يا قتادة إن كنت فسرت القرآن تفسر القرآن من تلقاء نفسك هلكت وأهلكك وإن كنت أخذته من الرجال هلكت وأهلكك أيضاً لا بد أن تنظر إلى أي الرجال تأخذ منهم هلكت وأهلكك وإنما أراد الله بهذه الآية ماذا أراد؟ أراد من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة بزاد وراحلة وكراً حلال خرج من بيته بهذه الأمور وهو يروم هذا البيت يعني يريد هذا البيت وهو عارفٌ بحقنا وقلبه يهوانا كما قال عز وجل (فَجَعَلَ أَفئدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) هذه الآية إنما مفسرة في هذا الذي خرج من بيته بزادٍ وراحلةٍ وكرراً حلال يروم هذا البيت عارفٌ بحقنا وقلبه يهوانا كما قال عز وجل (فَجَعَلَ أَفئدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فإنه قال إليهم ولم يعني البيت ولو كان يعني البيت لقال إليه وأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ومن ذريتي من ذريتي إبراهيم حينما جاء بهاجر على المشهور ما كانت قد ولدت إسماعيل ثم الذرية تشير إلى الكثرة ذريته وأشرف ذريته من هم؟ الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين فالإمام يقول تهوي إليهم وما عنى البيت لو عنى البيت لقال تهوي إليه ثم يقول إمامنا الباقر نحن والله دعوة إبراهيم صلى الله عليه التي من هوانا قلبه باعتبار الآية (فَجَعَلَ أَفئدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا يا قتادة فمن كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة فحينئذ يقول قتادة لا جرم والله لا فسرتها إلا هكذا بعد ذلك يقول له الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من

خوَّطب به القرآن لا يعرفه إلا من خوَّطب به و الذين خوَّطبوا به هم صلوات الله عليهم أجمعين هذه الرواية الثالثة صريحة هذه لا على نحو الإشارة ربما الرواية الأولى وردت على نحو الإشارة ربما الرواية الثانية قد يقال وردت على نحو الإشارة على نحو الجري أما هذه الرواية الثالثة صريحة و الإمام يستدل بنفس الآية يقول إليهم و ما قال إليه و إنما عنى بذلك الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم مراراً أقول أن قراءة الزيارات الشريفة تجعل الإنسان عارفاً بكثير من شئونات أهل البيت و أهل البيت إنما وضعوا الزيارات لهذا المقصد و لهذه الغاية ربما الإنسان الذي ليست عنده القدرة على البحث العلمي و التفحص في كتب الحديث و في كتب الروايات هذا الأمر لا يتوفر لكل إنسان و لا يتسنى لكل إنسان البحث العلمي ثم أن الناس كلهم و شغلهم أما الزيارات هذه المعاني واضحة فيها على سبيل المثال هذا المقطع من زيارة سيد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه و هذه الزيارة معروفة في كثير من مساجد الشيعة تُقرأ و هي من الزيارات التي يُستحبُّ بها زيارة سيد الشهداء من عند الإمام الرضا صلوات الله و سلامه عليه من جملة مقاطع هذه الزيارة و أنت تخاطب سيد الشهداء (أشهد لقد طيب الله بك التراب و أوضح بك الكتاب و جعلك و أباك و جدك و أخاك و أمك و بنيك عبرةً لأولي الألباب يا ابن الميامين الأطيب التالين الكتاب و جهتُ سلامي إليك صلوات الله و سلامه عليك و جعل أفئدة من الناس تهوي إليك ما خاب من تمسك بك و أمن من لجأ إليك) و جعل أفئدة من الناس تهوي إليك هذه المعاني بغض النظر عن البحث العلمي في بطون الروايات و في بطون كتب الحديث هذه المعاني أهل البيت بينوها في زياراتهم و زيارتهم إنما هي لعوام الناس قبل أن تكون لخواصهم زيارات تكون متوفرة بين أيدي كل الناس و لكل الشيعة لكن الشيعة هم الذين يهجرون الزيارة الشيعة هم الذين

يبتعدون عن هذا السبيل الذي فتحه أهل البيت لتنوير أفكارهم ولترشيد عقولهم على أي حال فالروايات التي ذكرتها قبل قليل عن إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه و إلا وردت روايات عن غيره من الأئمة بخصوص هذه الآية لكن المجلس منعقد لذكره لذلك وقفنا على بعض الروايات المروية عنه في هذا الباب صلوات الله و سلامه عليه فالروايات تبين هذا المعنى أن هذه الأئمة إنما تهوي لأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين فاجعل أئمة من الناس أئمة جمع لفؤاد و الفؤاد هو القلب و قلب الإنسان هو محل ميله ميول الإنسان عواطف الإنسان أين تكون أليس في قلبه ميل الإنسان انحراف الإنسان إلى شيء أو عن شيء أين يكون ذلك في قلبه و اجعل أئمة من الناس و من تدل على التبعية أي أن بعضاً من الناس إنما تميل أئمتهم إليهم إلى المطهرين صلوات الله عليهم أجمعين (فَجْعَلْ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) أما كلمة تهوي ما معناها ؟ تهوي في لغة العرب تسقط يعني و اجعل أئمة المخلصين و اجعل القلوب الطاهرة تسقط إليهم تهوي إليهم و الهوي شدة السقوط في كلام العرب هوى من شاقق يعني سقط من مكان عال مع شدة في السقوط المراد من المعنى ما هو ؟ المراد من المعنى أن القلوب (تَهْوِي إِلَيْهِمْ) أن القلوب تسقط عليهم باتجاههم هذا التعبير فيه نكتة بلاغية النكتة البلاغية في هذا التعبير أن القلوب حينما تتوجه إليهم لا تشغل بغيرهم بالضبط هكذا كهذا الذي يطارده الأعداء فيصل به الطريق إلى نهاية جبل فحينئذٍ يخير بين أن يسلم نفسه ليكون طعمة للسيوف و حتماً يقتلونه و أما أن يلقي بنفسه من أعلى الشاهق فرما ينجو فحينئذٍ يهوي من أعلى الشاهق طالباً للنجاة أو كهذا الذي يأخذ منه العطش مأخذاً عظيماً و بعد مدة طويلة من العطش الشديد فيجد الماء حينئذٍ يهوي على الماء أو هذا الذي يلقي حبيباً قد فارقه سنين طويلة أم و فارقت ولدها سنين طويلة و حينما تصادفه تهوي عليه من دون أن

تفكر في شيء هل يصيبها ضرر هل تتأذى بالنتيجة عاطفتها تتوجه بكل معناها إلى هذا الذي تحبه أو أن إنساناً يبحث عن شيء مدة طويلة من الزمن ثم يجد ذلك الشيء يجد كنزاً عظيماً يبحث عنه فيهوي عليه بخلاً به حرصاً عليه حباً فيه تعلقاً به قل ما شئت من العبارات و أجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم , تهوي إليهم أي أنها تبحث عنهم فإذا ما وجدتهم سقطت عليهم لأن النجاة فيهم لا في غيرهم لأن الخلاص فيهم لا في غيرهم و هذا هو معنى حقيقة الحج ليس الحديث الآن عن أسرار الحج و معنى الحج في روايات أهل البيت لكن هو هذا بُعد واضح من أبعاد الحج في كلمات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين أن هذا الطواف و هذه المناسك إنما هي مقدمة لصقل القلوب كي تهوي هذه القلوب إلى أهل البيت كي تسقط هذه القلوب في دائرة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين (فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) تهوي إليهم تتهاوى عندهم تتهاوى في دائرة محبتهم تتهاوى في دارة مودتهم صلوات الله عليهم أجمعين و ذلك أن الخلاص إنما هو للقلوب التي تهوي في دارتهم و في ديارهم و على أعتابهم صلوات الله عليهم أجمعين الخلاص و النجاة بهذه القلوب و معنى القلوب التي تهوي القلوب التي لا تتوجه لشيء لا علاقة له بأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين و لذا أورد هنا بعض الأمثلة من حياة إمامنا الباقر صلوات الله و سلامه عليه لأناس هوت قلوبهم لأهل البيت و لأناس ابتعدت قلوبهم عن أهل البيت و الميزان في الخلاص و في الطهارة و في النجاة و في الفضل و في كل شيء عند الله الميزان هو القرب من الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه أورد مثالين من الذين هوت قلوبهم في دارة الإمام الباقر صلوات الله و سلامه عليه و أورد مثالين أيضاً بحسب ما يسمح به الوقت مثالين من الذين ابتعدت قلوبهم عن

أهل البيت عن إمامنا الباقر بالذات صلوات الله و سلامه عليه أما من أمثلة القلوب التي هوت إلى هذه الدارة المقدسة و إلى هذه الساحة الكريمة و إلى هذا الفناء الإلهي .

من هذه القلوب قلبُ محمد ابن مسلم الطائفي رضوان الله تعالى عليه محمد ابن مسلم الطائفي من أصحاب إمامنا أبي جعفر صلوات الله و سلامه عليه أشير إلى رواية بخصوصه الرواية يذكرها شيخنا المفيد رضوان الله تعالى عليه بسنده عن محمد ابن مسلم محمد ابن مسلم كان يسكن في الطائف و الطائف فيما بينها و بين المدينة مسافة ليست بالقصيرة فمحمد ابن مسلم يقول كنت ثقيلاً و وجعاً كان مريضاً كان مريضاً و بسبب المرض كان ثقيل في الحركة كنت ثقيلاً و وجعاً فقدمت المدينة قَدِم إلى المدينة المنورة فالأصحاب و ما تمكن من زيارة الإمام الباقر عليه السلام الأصحاب نقلوا الخبر إلى الإمام أبي جعفر صلوات الله عليه قالوا أن محمد ابن مسلم وجعاً طريح الفراش محمد ابن مسلم يقول لما بلغ الخبر إلى إمامنا أبي جعفر صلوات الله و سلامه عليه بعث أليّ بشرابٍ مغطى بمنديل بيد الغلام بيد الخادم و قال لي الغلام أشرب هذا بعثه إليك الإمام صلوات الله عليه و أني مأمور أن لا أرجع حتى تشرب هذا الشراب يقول فتناولته منه فكانت تنبعث منه رائحة المسك فشربته فكان شراباً طيب الطعم بارداً بعد أن شربت الشراب قال لي الغلام إن الإمام يقول إذا ما شربت فتعال يقول ففكرتُ في كلام الغلام الذي ينقله عن الإمام أنا ما أتمكن أن أقف على رجلي لكن في هذه اللحظات ما أن أستقر الشراب في جوفي إلا و أحسست بالنشاط كما يقول هو و كأني أنشطتُ من عقار هذه العبارة إشارة إلى بعث القوة و الحيوية في بدنه و كأني أنشطت من عقار فأتيت إلى دار الإمام صلوات الله و سلامه عليه و وقفت على بابه مستأذناً فالإمام لما علم بوقوفي على الباب صوت بي يعني صاح بي و هو من داخل الدار نصح الجسم نصح الجسم يعني شوفيت عوفيت بهذا المعنى

نصح الجسم أدخل و هذه العبارة كان العرب يستعملونها للمحبين نصح الجسم أدخل يقول فلما دخلت دخلتُ باكياً فسلمتُ على الإمام صلوات الله و سلامه عليه باعتبار مدة من الزمن لم يكن قد تشرف بزيارة الإمام فدخلتُ باكياً فسلمتُ على الإمام عليه السلام و قبّلتُ يده و رأسه فقال لي ما يبكيك يا محمد قلت يا ابن رسول الله الذي يبكيني اغترابي عنك و بعد الشقة و قلة المقدره على أن أكون قريباً منك فأنظر إليك يا ابن رسول الله فقال له الإمام صلوات الله و سلامه عليه محمد ابن مسلم بكائه من هذه المعاني من الاغتراب عن الإمام من بعد الشقة بعد المسافة من بعد الشقة من قلة المقدره قلة المقدره يعني قلة ذات اليد ما يتمكن أن ينتقل من الطائف إلى المدينة باعتبار أن معيشتة جارية في الطائف و قلة المقدره الذي يبعث على عدم القرب من الإمام و الذي يبعث على عدم النظر إلى وجه الإمام صلوات الله و سلامه عليه فالإمام يقول له يا محمد أما قلة المقدره فإن الله سبحانه و تعالى جعل أوليائنا كذلك و أهل مودتنا فقد جعل البلاء إليهم سريعاً هذا الذي تشكوه من قلة المقدره فإنما أوليائنا هكذا قلة المقدره من صفاتهم باعتبار دائماً الظلمة هم الذين تقع الأمور في أيديهم و الظلمة قطعاً لا يُقربون أصحاب أهل البيت يقربون المنافقين يقربون المدلسين يقربون المنحرفين قال أما قلة المقدره فهكذا جعل الله أوليائنا و أهل مودتنا و قد جعل البلاء إليهم سريعاً و أما ما تقوله من الغربة فلك أسوءُ بأبي عبد الله بسيد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه فلك أسوءُ بأبي عبد الله في أرضٍ ناءٍ عنا في أرضٍ بعيدٍ عنا بالفرات صلى الله عليه و أما بُعد الشقة يعني أنك بعيد عنا فإن المؤمن غريب في هذه الدنيا ...

... (إلى هنا ينتهي الوجه الأول من الكاسيت)....

حوله غريبٌ بين الناس فإن المؤمن غريبٌ و هو في هذا الخلق منكوس حتى ينتقل إلى رحمة الله يعني حتى يخلص من هذه الحياة حتى تنتهي حياته الدنيوية و هو في هذا الخلق منكوس أي أنه في نظر الناس منكوس غريبٌ بين الناس و منكوسٌ الناس ينظرون إليه و كأنه منكوس على رأسه مراد منكوسٌ على رأسه ليس في الجهة البدنية يعني ينظرون إلى أفكاره ينظرون إلى عقيدته ينظرون إلى فهمه إلى يقينه إلى ما يحمله من فهمٍ من عقيدةٍ من فكرٍ من حديثٍ من كلامٍ قل ما شئت إلى حالته المعنوية بشكلٍ عام و هو في هذا الخلق منكوس في نظر الناس منكوس في حتى ينتقل إلى رحمة الله حتى يخرج من هذه الدار و أما حُبك قربنا أنك تحب القرب والنظر إلينا فإن الله يعلم ما في قلبك و يجازيك على الذي في قلبك و قطعاً الجزاء للمعنى الذي ذكره محمد ابن مسلم التقطع و التشوق إلى لقيا أهل البيت في القلوب صلوات الله عليهم أجمعين هذا المعنى لا يجازا بقدرٍ معين يتصوره الإنسان لأن التعلق بهم صلوات الله عليهم أجمعين هو التعلق بذات الله سبحانه و تعالى من أحبهم أحب الله فإذا أحب الله نزل عليه الفيض كاملاً نزل عليه الأجر كاملاً حينئذٍ فهذا قلبٌ من القلوب التي كانت تهوي إلى إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه و قلبٌ آخر قلبٌ الكُميت ابنُ زيد الأسدي من القلوب التي كانت تهوي إلى إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه إنما أذكرُ هذه الأمثلة أولاً لتوضيح المطلب الذي ذكرته في أول حديثي و ثانياً للاعتبار بمواقفهم و للاعتبار بكلام الإمام الباقر صلوات الله و سلامه عليه بخصوصهم , الكُميت ابن زيد الأسدي رضوان الله تعالى عليه من الذين حملوا قلوباً تهوي إلى ساحة إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه و هو الذي يدعو له الإمام أبو جعفر صلوات الله و سلامه عليه حينما أنشده القصيدة الميمية المعروفة من قصائده الهاشمية يدير الإمام وجهه إلى الكعبة لأنه أنشد الإمام

هذه القصيدة في الكعبة يدير الإمام وجهه إلى الكعبة أنشده في المسجد الحرام هذه القصيدة في أيام الحج الإمام يدير وجهه إلى الكعبة الشريفة و يقول اللهم أرحم الكميت و أغفر له اللهم أرحم الكميت و أغفر له اللهم أرحم الكميت و أغفر له في أحد المرات يأتي للإمام صلوات الله و سلامه عليه فالإمام يقول له يا كميت لو كان عندنا شيء من المال لأعطيناك و الله منه و لكن ما نملكُ مالا ما كان تحت يد الإمام شيء من المال و لكني أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه و آله لحسان ابن ثابت بعد ذلك انحرف و أما الكميت بقي على ولائه لأهل البيت أقول لك كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله لحسان ابن ثابت - لا يزال معك روح القدس ما ذببت عنا - يعني أن هذه القلوب التي تهوي إلى أهل البيت الشيء الذي تناله ما هو ؟ أن يصاحبها روح القدس لا يزال روح القدس معك ما ذببت عنا ما ذببت يعني ما دافعت عنا ما نطقنا عنا ما بينت من فضلنا ما بينت من كرامتنا لا يزال روح القدس معك ما ذببت معنا ما ذببت عنا و ذببت عن فضلنا فالكميت رضوان الله تعالى عليه بعد ذلك يسأل الإمام صلوات الله و سلامه عليه و هذه الرواية في الكافي الشريف فسألته أخبرني عن الرجلين عن الأول و الثاني إنما أذكر هذا المعنى باعتبار تكملة للرواية أخبرني عن الرجلين يعني الأول و الثاني يقول الإمام صلوات الله و سلامه عليه كانت بيده وسادة فكسرها في صدره يعني هكذا طواها فكسرها في صدره و قال يا كميت و الله ما أهريق محجمة من دم و لا أخذ مال من غير حله و لا نُقل أو قُلب حجر عن حجر و لا قُلب حجر عن حجر أو نُقل حجر عن حجر إلا و في أعناقهما على أي حال هذه تكملة للرواية و إلا لا علاقة لها ببحثنا الآن فالكميت هو هذا الذي في آخر لحظة من لحظات حياته كما ينقل ابنه المستهل ينقل عنه يقول آخر كلمة تلفظ فيها الكميت و مات على الفراش

آخر كلمة قال هذه الكلمة اللهم آل محمد آل محمد آل محمد و أغمض عينيه بقي قلبه في هذه الدائرة المقدسة في دائرة الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله و سلامه عليه في دائرة أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة و السلام مورد الشاهد الذي نستفيده من حياة الكميت رضوان الله تعالى عليه حينما جاء إلى الإمام الباقر فأنشده القصيدة الميمية من لقلبٍ متيمٍ مستهان من قصائده الهاشمية إلى أن يقول في آخر القصيدة .

أخلص الله لي هواي فما أغرق نزعاً و لا تطيشُ سهمي

الإمام يوقفه هنا فيقول له لا تقل هكذا أخلص الله لي هواي فما أغرق نزعاً و لا تطيش سهمي قال له و إنما قل .

أخلص الله لي هواي فقد أغرق نزعاً و لا تطيش سهمي

الآن أبين لك المعنى فيقول الكميت مولاي يا ابن رسول الله أنت أشعر مني في هذا المعنى الكميت في بيته ماذا قال أخلص الله القصيدة الميمية من لقلبٍ متيمٍ مستهانٍ القصيدة في مدح أهل البيت و بالذات في مدح الإمام الباقر لأنه أنشدها بين يدي الإمام الباقر في هذا البيت ماذا يقول الكميت أخلص الله لي هواي فما أغرق نزعاً هذا قول الكميت و لا تطيشُ سهمي أخلص الله لي هواي يعني هواي في أهل البيت أن الله سبحانه و تعالى جعل هواي فيكم يا أهل البيت خالصاً من كل شائبة من كل منقصة جعل قلبي متوجهاً إليكم يهوي هواي قلوبٌ تهوي إلى أهل البيت أخلص الله لي هواي فما أغرق نزعاً و لا تطيش سهمي تطيش سهمي طاشت يعني انحرفت الآن عندي سهم فأرميه فينحرف عن الغرض عن الهدف أقول طاش السهم و لا تطيش سهمي يعني و لا تنحرف سهمي فما أغرق نزعاً أغرق في النزع العرب يقولون أغرق في النزع حينما يمسك الرامي بالقوس و يضع السهم في كبد القوس فيسحب الوتر هكذا يوتر الوتر فيسحبه هكذا فإلى آخر ما

يصل إليه الوتر يقال له قد أغرق في النزع إلى آخر ما يصل إليه الوتر باعتبار أنه لا بد لا بد أن يكون وتر القوس مضبوطاً مشدوداً حتى ينطلق السهم و العرب تقول هذا المعنى أن فلان أغرق في النزع يعني بالغ الآن يأتي إنسان فيمدح إنسان آخر يقال أنه قد أغرق نزعاً أغرق نزعاً يعني بالغ في المدح كما أن هذا الرامي الذي يرمي بالقوس يبالي في سحب الوتر في سحب وتر القوس فما أغرق نزعاً و لا تطيش سهامي كأنه يريد أن يقول إن الله أخلص لي الهوى فما أنا بمبالغ أنا ما أبالغ حينما أمدحك هذا المدح الذي أذكره أنا لا أبالغ ليس من شأني أن أبالغ و لذلك لأني لا أبالغ في مدحك سهامي ما تطيش و إنما تصيب الهدف يعني قصائدي و كلامي يصيب الهدف لأني لا أبالغ الإمام قال له لا قل فقد أغرق نزعاً و لا تطيش سهامي يعني يكون المعنى معناً أدق أي حتى لو بالغت فيكم فسهامي لا تطيش لأنكم فوق المبالغة و فوق كل تصور المعنى الذي أراه الإمام تلاحظون أدق بكثير من المعنى و لذلك الكميت قال يا ابن رسول الله أنت أشعر مني في هذا المعنى أهل البيت يريدون الحب بهذا العنوان فما أغرق نزعاً و لا تطيش سهامي يعني أنا ما أبالغ في مدحي لكم من طبعي لا أبالغ حتى أوصف بالغلو مثلاً من طبعي لا أبالغ هذا الكلام الذي أذكره بالحد المعقول بالحد المقبول و لذلك سهامي لا تطيش كلماتي قصائدي مدحي أقوالي لا تنحرف عن طريق الصواب لا تكون مصيبة للغرض الإمام يقول له لا قل فقد أغرق نزعاً و لا تطيش سهامي أي لأبالي فيكم و أبالغ بالقدر الذي أتمكن أن أبالغ و مع ذلك سهامي لا تطيش لماذا لأن المبالغة التي يصل إليها الإنسان بقدر عقل الإنسان بالنتيجة غاية ما نريد أن نبالي المبالغة داخلية في التصور أو لا الآن حينما نقول صيغ المبالغة مثلاً في كلام العرب مبالغة في التعبير في البيان لما نريد أن نبالي هذي المبالغة أليس مصورة في كلام مرسومة بألفاظ حينما تكون مصورة بكلام

مرسومة في ألفاظ في قوالب كلامية معنى ذلك أن الإنسان يتصورها الإنسان لا يتكلم إلا أن يتصور أولاً يتصور ثم يتكلم و إلا الإنسان إذا كان ما يتصور و يتكلم بدون تصور حينئذ لا يكون كلامه مستقيماً حينئذ يخطب الإنسان و يخلط كالنائم الذي يتكلم باعتبار النائم لا يملك تصوراً و لذلك يخلط في الكلام أو كالمجنون حينما يتكلم المجنون يملك تصور لكن تصوره غير مستقيم و إلا حتى المجنون حينما يتكلم عن تصور و إلا المجنون لا يتكلم عن غير تصور حتى المجنون يتكلم عن تصور لكن المجنون تصوره غير مرتب فالكلام الذي يصدر عن الإنسان يكون متفرع عن التصور في ذهن الإنسان فمهما يبالي الإنسان في كلامه بالنتيجة ناتج عن تصوره فإذا كان ناتج عن تصوره هذا التصور في حدود قوة إدراكه ما كان داخل في حدود قوة الإدراك يكون أقل بكثير من الذي يرتبط بعشر من عشر من عشر من معشارٍ لفضل أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين فالإمام ينبه الكميت و هو تنبيه واضح لنا أنه مما بالغتم الإمام يريد القلوب التي تهوي هذه الأفئدة التي تهوي إليه يريد قلوب بهذا المعنى بهذا الوصف الذي ذكره الإمام صلوات الله و سلامه عليه فقد أغرق نزعاً و لا تطيش سهامي هذا مثالٌ ثانٍ من أمثلة القلوب التي مالت من الأفئدة التي هوت إلى الإمام الباقر صلوات الله و سلامه عليه و تلاحظون زبدة الكلام الذي قاله محمد ابن مسلم أو الكميت إنما هو في دائرة المحبة إنما هو في دائرة الميل إليهم إنما هو في دائرة التعلق بهم صلوات الله عليهم أجمعين التعلق الذي يجعل روح القدس مصاحباً للكميت .

أما من الأمثلة التي انحرفت عن الإمام عن الإمام الباقر صلوات الله و سلامه عليه عكرمة و هذا من علماء العامة أيضاً الذي كان غلاماً لأبن عباس يملكه و لطالما ينقل عنه المفسرون و حتى علماء الشيعة أمثال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان كثيراً ما ينقل عن

عكرمة من محدثي العامة من مفسريهم من فقهاءهم من علمائهم عكرمة هذا كان كثيراً ما يأتي لزيارة الإمام الباقر صلوات الله و سلامه عليه حتى عده البعض أنه كان منقطعاً للإمام الباقر عليه السلام لكن حقيقة ما كان قلبه يهوي إلى الإمام الباقر أبو بصير في بعض الروايات حينما يتحدث عن عكرمة يقول و كان منقطعاً إلى أبي جعفر الباقر أبو بصير يعني هذا الأمر هذا الأمر يولد الشبهة ربما حتى عند كثير من الناس في وقته لأنه كثيراً ما كان يزور الإمام كثيراً ما كان يأتي للإمام كثيراً ما يرى و كأنه كان متعلقاً بالإمام صلوات الله و سلامه عليه الإمام الباقر عليه أفضل الصلاة و السلام كان جالساً في مجلسه و جاءه الخبر أن عكرمة على فراش الوفاة عكرمة يريد أن يموت و بعد ذلك جاء الخبر و الإمام تباطأ عن الذهاب إليه كما يظهر من بعض الروايات الإمام بعد ذلك يقول لو علمت عكرمة كلمات لكان ينجو لا يكن طعمة للنار لأن عكرمة فعلاً طعمة للنار لأن قلبه ما كان متوجهاً للإمام الباقر و إن كانت له علاقة ظاهرية بالإمام الباقر فالإمام يقول لو علمته كلمات لانتفع منها و ما كان طعمة للنار فيسأله أصحابه ما هذه الكلمات التي لو علمتها لعكرمة أصحابه كأنهم وجدوا مغنماً كبيراً أن عكرمة إذا علمه الإمام هذه الكلمات قال هذه الكلمات هذا الذي أنتم عليه لكن الإنسان لا يشعر بالنعمة التي بين يديه هذا الذي أنتم عليه لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله و الولاية لعلي و آل علي لقنوهم هذه الشهادة هذا الذي أنتم عليه هو هذا الذي يمنعكم أن تكونوا طعمة للنار لكننا نستشعر هذه النعمة التي بين أيدينا أولاً لا نستشعر قيمة هذه النعمة التي من الله بها علينا هذا أولاً و ثانياً لا نؤدي حقها و لا نؤدي شكرها بل ربما يكون منا كفران النعمة لربما يكون شيء عكس لهذه النعمة التي أعطيت لنا و وهبت لنا ربما نقابل هذه النعمة بكفرانها و بكفرها و لذلك الأصحاب ما كانوا يتحسون قيمة

هذا المعنى فحينما يقول لهم الإمام هو هذا الأمر الذي بين أيديكم هذا الذي أنتم عليه هو هذا الذي ينجيكم و يكون سبباً لنجاتكم على أي حالٍ هذا مثلاً من الأمثلة للقلوب التي كانت بعيدة عن دائرة الإمام الباقر علماً أنه كان يكثر الترداد على الإمام الباقر لأن العلة الحقيقية لا في الرسوم الظاهرية لا في الأعراف المتبادلة بين الناس العلة في القلوب و أجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم ..

—
ملاحظة :

- (1) الأفضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الأخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الأول و الثاني للكاسيت فيرجى مراعاة ذلك . (و نسألُكم الدعاء لتعجيل الفرج)